مقدمة الطبعة الثانية

قال هارولد ولسون ذات مرة: "الأسبوع الواحد مدة طويلة في عمر السياسة." فما بال عشر سنين في عمر تكنولوجيا التعليم؟ فقد تبدو زمناً أزلياً. ظهرت الطبعة الأولى من كتاب "التكنولوجيا والتعلّم المفتوح والتعليم عن بعد" عام ١٩٩٥، ولم يرد فيها ذكر للشبكة العنكبوتية العالمية World Wide Web. هل يصدق أحد أنه لم تكن ثمة برامج تعليمية تستعين بهذه الشبكة قبل عام ١٩٩٦؟ بيد أن الأمر المثير لدهشة أكبر أن هذه الطبعة الأولى شهدت رواجاً في المبيعات طوال هذه الفترة المنقضية. لا بد أن ثمة درساً كبير الأهمية في هذا الأمر.

تتغير التكنولوجيا باستمرار، ولهذه التطورات التكنولوجية الجديدة آثار عميقة في التعليم كما هو حال تلك الشبكة العنكبوتية. ولكن وبرغم ذلك كله توجد ثوابت أساسية في تكنولوجيا التعليم لا تتغير، وإن استطعنا فهمها، بمقدورها أن تساعد صناع القرار في اختيارهم للتكنولوجيا المناسبة واستعمالها في التعليم. ومن هنا فإن هذا الكتاب يجدد دراسة الأسس التي تحدثنا عنها في الطبعة الأولى ويطبقها في ضوء التطورات التكنولوجية الجديدة التي ظهرت فيما بين الطبعة الأولى والطبعة الثانية.

ليس سهلاً تأليف كتاب مهما كان نوعه، فالكتب جميعاً تصعب كتابتها ولا يشكل هذا الكتاب استثناءاً. لكن التحدي الأكبر الذي واجهني تمثل في تقرير ماذا أضع فيه مما جاء في الطبعة الأولى، وماذا أضيف، ودون أن أطيل لكيلا

يغدو الكتاب مملاً بعيداً عن القراءة. فهل ينبغي لنا أن نغفل أمر التلفزيون والإذاعة وأشرطة التسجيل الصوتي والمادة المطبوعة بعدما رأينا أن الانترنت والشبكة العنكبوتية العالمية هي مستقبل التعليم عن بعد؟ إن الأمثلة والمعلومات التي تضمنتها الطبعة الأولى قد مضى عليها ما يزيد عن عشرين عاماً. فهل يعقل أن آتي بها في هذه الطبعة؟

إن القسم الأكبر من هذا الكتاب معلومات جديدة بكل تأكيد: خمسة من فصوله جديدة كلياً، منها واحد يتحدث عن التطورات في التعليم عن بعد والتعلّم الالكتروني، فيقدم نظرة عامة لهما خلال السنوات العشر المنصرمة، واثنان منها يبحثان في التعلّم عن طريق الانترنت واثنان عن تكنولوجيات المؤتمرات المتزامنة. وأربعة من فصوله تمت مراجعتها وتعديلها، وهي بحوث خصصت للمادة المطبوعة والتلفزيون والإذاعة وأجهزة التسجيل الصوتي. أما الفصل الأخير (وقد كان سابقاً ملخصاً تنفيذياً) فقد تم تعديله أيضاً. ولكن بقي فصلان، المقدمة والفصل الخاص بانتقاء التكنولوجيا. لم يتغيرا رغم أن تعديلات طفيفة أدخلت فيهما.

وحسبي أن أقول إنني لست من أنصار نزعة ما بعد الحداثة القائلة بأن كل شيء جديد جيد وبأننا لا يمكن أن نتعلم شيئاً من دروس الماضي. فأنا النقيض لهذه النزعة، وأرى أن ثمة دروساً وعبراً كثيرة في الماضي يمكن أن تطبق بكل قوة في التطورات الجديدة لتكنولوجيا التعليم، وإهمال هذه الدروس قد يحمل الأخطار لنا. يوضح الفصل الثاني هذا الأمر بصفة خاصة. أضف إلى ما تقدم أن موضوع هذا الكتاب يدور حول أسلوب صنع القرار. وإذا ثبتت جدارة هذه المنهجية على مر الزمان ونجحت مع الجديد مثلما كان نجاحها مع التكنولوجيا القديمة فهي ذات قوة وفاعلية.

ثم عرضت لي مسألة اختيار عنوان للكتاب. فاخترت أن أستبدل عبارة

"التعلّم المفتوح" بعبارة "التعلّم الالكتروني"، ولكن بشيء من الأسف، ذلك أن التعليم عن بعد قد أصبح خلال السنوات العشر الأخيرة أكثر اتصالاً بتحول التعلّم الالكتروني إلى تعليم تجاري منه إلى كونه إمكانية الوصول المفتوح إلى التعليم. لقد كان للتعلّم الالكتروني أثره البالغ في كل من التعليم الجامعي داخل الجامعة نفسها وفي التعليم عن بعد على السواء. لكنني آثرت أن أعالج بصفة خاصة ذلك الخلط في أذهان الكثيرين بين التعلّم الالكتروني والتعليم عن بعد. فكلا التعلّم الالكتروني والتعليم عن بعد لا يزالان يتمتعان بقوتهما. وعلى الرغم مما يقوله النقاد كل واحد منهما يشهد ازدهاراً وتقدماً، ومع أن التداؤب قائم بينهما إلا أن لكل واحد منهما مفاهيمه التي تختلف عن الآخر.

كلمات الشكر والتقدير التي وجهتها في الطبعة الأولى لا تزال تحتفظ بأثرها في هذه الطبعة، لكنني أود أن أضيف الشكر والتقدير إلى أشخاص آخرين. إنني مدين بالشكر الجزيل إلى كل من اللورد بيري، لورد والتون Lord Perry of Walton النائب الأول لرئيس الجامعة المفتوحة، وإلى غلين فاريل Glenn Farrel الرئيس السابق لوكالة التعلّم المفتوح. ولا أنسى أن أعرب عن عميق شكري وتقديري لما قدمه زملائي السابقون في "مجموعة بحوث الوسائط التعليمية في الجامعة المفتوحة"، وإلى زملائي فيما بعد في وحدة التعليم عن بعد والتكنولوجيا في جامعة كولومبيا البريطانية. كما أتوجه بالشكر الخاص إلى جانيس بيكارد Janice Picard التي لولا مساعدتها القيمة ما تمكنت من كتابة الفصول الخاصة بتكنولوجيات المؤتمرات المتزامنة. وأيضاً لا بد لي أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع رؤساء التحرير في مؤسسة روتلدج Routledge لما أبدوه من صبر وأناة وهم ينتظرون إنهائي لهذه الطبعة المنقحة بالرغم من تأخري المتواصل. وأخيراً، الشكر كل الشكر إلى زوجتي بات بورتر Pat Porter التي تجشمت باستمرار عناء معاناتي وسوء مزاجي عندما كانت تصادفني لحظات وجدت نفسي فيها عاجزاً عن إتمام هذه الطبعة. شكراً لك بات لوقوفك إلى جانبي.